

بحث

بريد المنسويين

بريد الطلاب

جامعة أم القرى
شرف العلم وشرف المكان



ENGLISH

بوابة الخدمات الإلكترونية

المصادر العلمية

المجتمع الجامعي

الكلية

العمادات

ادارات الجامعة

عن الجامعة



« قسم اللغة العربية « أعضاء هيئة التدريس « جابر محمد جابر الاحمري « مقالات وأعمال علمية « الرافعي أدبياً إسلامياً

قائمة الروابط

الترجمة وعالمية الأدب

الدعوة إلى العامة

الرافعي أدبياً إسلامياً

علاقات الجمل.

ملخص كتاب (البحث الأدبي)د/
شوقي صيف.

مصطفى صادق

الرافعي

أدبياً إسلامياً

مقال في دفاعه عن:

الدين,الفضيلة , اللّغة

جابر محمد الأحمري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا طيبا كثير مباركا فيه , كما يحب ربنا ويرضى, وكما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه, الحمد لله منزل القرآن ,خالق الإنسان , ومعلمه البيان.

وصلى الله على الرحمة المسداة والنعمة المهداة , محمد بن عبد الله, رمز البلاغة والفصاحة والبيان, وسيد ولد عدنان وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ,إلى يوم الدين وبعد:

فبين يديك أيها القارئ الكريم, مقالة أدبية في نتاج أحد أعلام الأدب الإسلامي المعاصر في أرض الكنانة.

نعم أقول الإسلامي ومن يشك في أن أدب الدفاع عن الدين والفضائل واللغة أدب غير إسلامي.

علما بأنني لست بدعا في هذا الأمر فقد وصفه بهذا الدكتور / محمد رجب البيومي في كتابه (مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن).

وجاءت هذه المقالة في ثلاثة محاور هي :

المحور الأول: الدين.

المحور الثاني: الفضائل والأخلاق

المحور الثالث: اللغة والأدب

وبدأت الدراسة في المحور الأول الذي ضم ثلاثة مباحث هي:

1- دفاعه عن القرآن

2- دفاعه عن السنة النبوية

3- دفاعه عن علماء الإسلام

ثم كانت دراسة المحور الثاني والذي ضم ثلاثة مباحث هي:

1- الحب العفيف الطاهر

2- الفقر بوصفه فضيلة نبوية.

3- المرأة وحجابها.

ثم كانت دراسة المحور الرابع والذي ضم ثلاثة مباحث هي:

- 1- تمصير اللغة وإحلال العامية محل الفصحى
- 2- كتاب الشعر الجاهلي
- 3- القديم والجديد
- 4- البلاغة العربية والنقد.

ثم خاتمة.

أولاً/ الرافعي مدافعاً عن الدين

1- القرآن

والقرآن نور الأمة الذي به سادت منذ وجودها إلى اليوم , وعلى قيس من هداة سارت في ظلمات القرون التي عثرت فيها الأمة فكان المنقذ لها , هذا القرآن الذي كان نبراس هدايتها , ومشعل تقواها مبدد سحب الضلال ,وكاشف غمم الطغيان, كيف لا وهو كما قال الله عز وجل(يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وقال فيه الرسول الكريم : (كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل الذي ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشيع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن رد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن لما سمعته غير أن قالوا: "إنا سمعنا قرآناً عجياً يهدي إلى الرشد" الجن: 1,2 من قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)

فكان من الواجب المحتم على كل مسلم أن يحافظ على هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يحافظ عليه بحفظه، وتلاوته وفهمه ودراسته وتدريسه والبحث فيه والتعلم منه، وينبغي أن يكون قائده للنجاح ومعلماً إياه سبل الخير والصالح.

وهذا ما كان عليه كاتبنا , حيث كان الرافعي متمثلاً للقرآن علماً وعملاً نظراً تطبيقاً، فإنه كان قد حفظه عن ظهر قلب وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره.

فكان ذلك مما أكسبه بعد ذلك فقها وفهما وأسلوباً لا نظير له، كتب له به النجاح والسيرورة في الناس حياً وميتاً.

ومن أدلة سيره على هذا اللاحب أن له مما يتصل بهذا الأمر من قريب أو بعيد، ثلاثة كتب هي أرفع وأميز ما كتب وهي:

(إعجاز القرآن) و(تحت راية القرآن) و (وحي القلم)

أما إعجاز القرآن فقد أشار الدكتور محمد رجب البيومي إلى أنه أول كتاب في إعجاز القرآن في العصر الحديث منذ السيوطي(1) رحمه الله

1- مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن ص 93

دار القلم الطبعة الأولى سنة 1417هـ.

وكان في مصر زمن تأليف الرافعي لهذا الكتاب نابتة أخذت على عاتقها تسخيف علوم العربية وتراث الأمة الأدبي ليتوصلوا منه إلا القدح في القرآن وإعجازه، فكان من وسائل محاربتهم التي ارتأها الرافعي أن يكتب كتاباً في إعجاز القرآن يبين فيه بعضاً من نور هذا الكتاب المعجز

حتى يدحضهم به ونعما ما فعل هذا الرجل.

وتحدث في هذا الكتاب عن مسألة عظيمة من مسائل إعجاز القرآن هي آدابه التي سعى ليزرعها في النفوس، وتحدث عن التكرار بوصفه طريقة قرآنية غاية في الروعة , ذات حسن وبيان غير ما هو معروف عن التكرار.

وذهب إلى أن وجه الإعجاز في القرآن هو ذلك الأسلوب البديع الجديد في شكله وفي نظمه الذي شمل عناصر الكلام الثلاثة:

*الحروف

*الكلمات

*الجمال

وهكذا سار الرافعي في مؤلفه يعرض إعجاز القرآن بذلك الأسلوب السامق , والبيان الدافق حتى نفع وأمتع , وسجل له رأياً في

إعجاز القرآن حين يذكر هذا الموضوع ويبحث عن أعلامه في العصر الحديث يكون الرافعي بارزاً شامخاً.

وللرافعي تفسيرات لبعض الآي من القرآن الكريم تكشف عن الرجل البصير العالم بما يكتب وما يقول وتكشف أيضاً عن دقة العين الباصرة التي يجليها في أي الذكر الحكيم فيجزل له المولى المثوبة بما يحمله من تفسيرات ربانية.

قال الرافعي: (وقد حار المفسرون في حكمة ذكر الليل في آية الإسراء من قوله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} فإن السرى في لغة العرب لا يكون إلا ليلاً.

والحكمة هي الإشارة إلى أن القصة هي قصة النجم الإنساني العظيم الذي تحول من إنسانيته إلى نوره السماوي في هذه المعجزة، ويتمم هذه العجيبة أن آيات المعراج لم تجئ إلا في سورة {والنجم}. (1)

انظر إلى هذا الفكر الدقيق الذي أظهره الرافعي على كلامه بل واستدل

1- وحي القلم للرافعي ج2 ص 30، المطبعة العصرية بيروت 1428هـ.

عليه من القرآن أيضاً.

وفي نفس الموضوع يبين أنه مع جمهور علماء المسلمين في أن الإسراء والمعراج كانا معا بالجسم والروح .

ولكن هل هذا تقليد منه للآخرين؟

كلا ، فالرافعي له فكره الخاص فليس من المقلدين لأنه يمتلك الدليل الذي تأكد أنه قد غاب على من قبله.

يقول الرافعي: (يثبت ذلك قوله تعالى: {إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى} فلا يكون البصر يزيع ويطغى إلا في الجسم ، ولا ينتفي عنه ذلك إلا وهو في الجسم، ولم ينتبه أحد من المفسرين إلى المعنى المعجز العجيب في قوله (وما طغى)) (1)

وقد تكلم الرافعي عن الجملة القرآنية وسموها بأدب الأديب وكتابة الكاتب وأنها مثل تلك الروح الخفية التي تسري في جسد الإنسان ولا يعلم من أمرها شيئاً، فتسري الجملة القرآنية في كتابة الكاتب المؤمن ولا يعلم من أمرها شيئاً إلا أنها قبس أضاء كتابه وأثار ما فيه يقول الرافعي: (ولقد وقفت طويلاً عند قولها -يقصد الصحيفة- (الجملة القرآنية) فظهر لي في نور هذه الكلمة ما لم أكن أراه من قبل)(2)

وأخذ في مقال طويل يدافع عن القرآن ولغة القرآن بلغة مائعة

وأسلوب رافعي مشرق.

وللرافعي مقال يتجلى فيه إبداعه النثري في وحي القلم عنوانه (قرآن الفجر) يحكي فيه بلغة روحانية ليلة قضاها في رحاب بيت من بيوت الله عز وجل وصلى في الفجر وقرأ الإمام آيات بينات كأنها الفجر نفسه

يقول الرافعي وقع صوت الإمام الندي على القلوب المؤمنة: (كان صوته على ترتيب عجيب في نغماته ، يجمع بين قوة الرقة ورقة القوة، ويضطرب اضطراباً روحانياً كالحنين اعتراه الفرح على فجأة... يتحول بها الكلام الإلهي إلى شيء حقيقي يلمس الروح فيرفض عليها بمثل الندي، فإذا هي ترف رفيفاً، وإذا هي كالزهرة التي مسحها الطل)(3)

1- وحي القلم ج2 ص34.

2- تحت راية القرآن للرافعي ص 24، الطبعة السادسة من المكتبة التجارية الكبرى سنة 1385هـ.

3- وحي القلم ج3 ص 27 .

2- محمد صلى الله عليه وسلم والبلاغة النبوية.

معلم الأمة الأول، وحكيمها الأعظم، تمنيت كما تمنى الدكتور محمد رجب البيومي ، أن لو كتب الرافعي تلك السيرة العطرة بأسلوبه الشائق كما فعل عدد من كتاب العصر الحديث

ولكن الرافعي لم يترك ذلك كلية فإن له عدة مقالات في النبي الكريم بلغت الذرى من البيان السامق ، خاصة عند شدة الأدب .ومحبي الكلمة المؤمنة الساحرة

والرافعي حين يكتب في أمر فهو يعمل عقله الذكي لمحاولة الإتيان بالوجه الجديد المبتكر الذي لم يسبق إليه، وذلك من مثل قوله

في مقال عنوانه حقيقة المسلم: (فكانت الإنسانية دهرها بين اثنين أحدهما فتح لها طريق المجيء من الجنة، والثاني فتح لها طريق العودة إليها، كان في آدم سر وجود الإنسانية، وكان في محمد سر كمالها) (1)

انظر إلى الرافعي هنا حين حاول أن يأتي بوجه مقارنة بين أول الأنبياء وآخرهم، وجه يصعب على غير الرافعي، لأنه دائماً يحاول الالتفات إلى المكان الذي لا تبصره العيون، مما جعل له معان خاصة به ومبتكرة من عنده

وهو في مقال (وحي الهجرة) بعد أن عرض لحوادث ما قبل الهجرة يستشف من التاريخ معنى، هو من اللطف والدقة بالمكان الأعلى، معنى يتمنى أن يدركه كل مسلم: (أفليس هذا فصلاً فلسفياً يعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم: غناه في قلبه، وقوته في إيمانه، وموضعه في الحياة موضع النافع قبل المنتفع، والمصلح قبل المقلد) (2)

إنه يوطد لمعنى من معاني النبوة استقاه بفكر ثاقب من سيرة المعلم الأول صلى الله عليه وسلم.

وفي مقال فلسفة قصة يسطر الرافعي بمداد النور قصة النور، ذلك النور الإلهي في النبي الإنسان، الذي رفع أكف الضراعة إلى الله بعد الإيذاء الشديد والنشر المحتدم لا ليدعو عليهم ولكن ليدعو لهم: (توجه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء البليغ الخالد يشكو أنه إنسان في الضعف وقلة الحيلة، فينطق الإنساني فيه بالشرط الأول من الدعاء يذكر انفراده وأثار انفراده ويتوجع لما بينه وبين إنسانية قومه، ثم ينطق الروحاني فيه بعد

وحي القلم ج 2 ص 12-1

وحي القلم ج 2 ص 19-2

ذلك إلى آخر الدعاء متوجهاً إلى مصدره الإلهي قائلاً أول ما يقول: إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي

ولعمري لو نطقت الشمس تدعو الله لما خرجت عن هذا المعنى ولا زادت على قوله (أعوذ بنور وجهك) تلتمس من مصدر النور (الأزلي حيطة وجودها الكامل) (1)

وفي قصة الإسراء والمعراج يبين الرافعي إمكانية حدوث هذه المعجزة رد على المتنطعين الذين ينكرونها من قريش الأوائل أو من قريش الأواخر ودليله يسير يعرفه الناس ولكنه داحض ومتمكن أمكن كما يقال، حيث قال الرافعي ما نصه: (وليس للعقل أن ينكر شيئاً من هذا ونحوه فإن تركيب الطبيعة رد على نفسه، والمستحيل على الأعمى هو أيسر الممكنات على المبصر) (2)

أما بلاغة الحديث النبوي وسمو منزلته فقد أفرد أبواباً في إعجاز القرآن للحديث عن هذا الموضوع، وأبدع أيما إبداع فيوصف الفن النبوي البديع والمنطق الحلو، وعلل صمت الرسول وتجمعه قبل الحديث تعليلاً نفسياً رائعاً، فأبان كيف يمر منطق الشريف بالفكر قبل أن ينطلق إلى اللسان

(وكان من تفسيراته الملهمة للحديث النبوي الشريف تفسيره لـ(سوداء ولود خير من حسناء لا تلد

فقال: (وهو من أعجب الأدب وأبرعه، ما علمت أحداً تنبه إليه، فإنه صلى الله عليه وسلم لا يريد السوداء بخصوصها، ولكنه كنى بها (عما تحت السوداء، وما فوق السوداء، وما هو إلى السوداء من الصفات التي يتقيحها الرجال في خلقة النساء وصورهن). (3)

إن هذا النظر المحكم لما خلف السجف لمعان هي الأليق بالنص هو ما يسعى إليه النقاد منذ القدم وخاصة في النص القرآني المقدس وحديث النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً

وحي القلم ج 2 ص 27-1

وحي القلم ج 2 ص 35-2

وحي القلم ج 1 ص 144-3

علماء الإسلام-3

كتب الرافعي عن علماء المسلمين مبينا صفحات مشرقة من ذلك التاريخ الإسلامي المشرق، الذي كان منيراً برمانية علمائه، إن العلماء في كل عصر هم من يقودوا الناس إلى بر السلامة لأن الله عز وجل قد وضع في أيديهم مفاتيح الخير للأمة وعلمهم كيف يقودونها، كيف لا وقد عددهم من ولاة أمرها

وقد كتب الرافعي عن عدد من علماء الإسلام مستخلصاً العبر والدروس من كتاباتهم وأحداث حياتهم التي عايشوها في أزمتهم. ومن العلماء الدين كتب عنهم: الحسن البصري وسعيد بن المسيب والعز بن عبد السلام والشعبي والأعمش وابن دقيق العيد

(إن ذلك الأسلوب الغزير للرافعي هو الذي جعل الدكتور/ محمد رجب البيومي يقول :إنه رائد القصة الإسلامية الحديثة(1)

لقد أدار الرافعي قصص هؤلاء الأعلام حول موضوعات كانت تهم المجتمع في ذلك الوقت أيما اهتمام , فكانت سيرورتها في الناس أكثر,على أن ذكاء الرافعي رفض أن يربط ما ذكر عن هؤلاء الأعلام إلا بما يهم الناس في كل زمان ومكان

(كما أدار قصة سعيد بن المسيب على تزويج ابنته من القنوع طالب العلم لا من ابن الخليفة في مقاله(قصة زواج وفلسفة مهر

أما حديث الزوجات مع أزواجهن فللرافعي في ذلك قصة أبي محمد سليمان الأعمش ذلك العالم الرباني الذي أضاف الرافعي إليه القصة لتكون منه لا

(هو منها).2)

وله عن الإمام تقي الدين بن دقيق العيد قصته العظيمة(أمرأ للبيع) حيث أدار الحديث عن قوة العالم العز بن عبد السلام في الحق وعدم تهاونه فيه رهبة أو رغبة وكيف أن هذا الإمام رأى عدم صلاحية الحكام للحكم في مصر لأنهم مماليك فحكم ببيعهم ورد أموالهم إلى بيت مال المسلمين

(وكان في هذه القصة يصور عزمة العالم على الحق ومضاه فيه فما كان إلا ما أراد هذا العالم الجليل.3)

هذا وغيره ما جعل أدياء عصره يشيدون بما يكتب الرافعي وفي مقدمتهم الطنطاوي الذي كتب مقالا في إبداع الرافعي رحمهما الله

الرافعي للدكتور / محمد رجب البيومي ص159 -1

وحي القلم ج1 ص 124 -2

وحي القلم ج3 ص 47 -3

ثانيا/ مدافعا عن الفضائل

الفضيلة مراد النفوس السوية, وهي التي جاء الدين لتثمينها , وإكمال ما نقص منها, لذلك قال المصطفى صلى الله عليه وسلم :

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

ومكارم الأخلاق لا تنحصر إذا أريد حصرها كما أن الشر لا ينحصر , فيقدر الابتعاد عن الفضيلة يسقط المرء في الرذيلة, والخط رفيع . جدا بين الاثنين

كيف؟ والحب قد يكون فضيلة وقد يكون رذيلة ,وتعلم المرأة فضيلة حث عليها الدين فإذا أسيء استخدامه وساء الغرض منه انقلب شرا مستطيرا يلفح في أول أمره صاحبه ثم يغدو ماردا يلفح المجتمع بلهيبه ثم يستحيل في أخرى أمره طاعونا من الشر يفتك بأجيال وأجيال

ورأى الرافعي المرأة الشرقية وهي تكافح من أجل ثبات أخلاقها وعدم تحول إرادتها وعزتها في سيل المدنية المتفرجة الجارفة إلا من استعصم بدين وخلق

والزواج من أمور طالب بها الدين فكيف ونحن في مجتمع فتكت به الشهوات والأهواء حتى اختلطت موازين الصدق والعفاف فكان لا بد من دعوة صادقة لمعرفة أسس هذه السنة النبوية والإنسانية التي جهل أقوام مقتضاها فزاعوا وجهل أقوام حكمها وحكمتها فضلوا

وإذا كان المولى قد أنعم علينا بنعم مختلفة منها نعمة الجمال الكوني والجمال البشري , فإن من أوبق الموبقات أن نستخدم هذه . النعم في العصيان

نعم شكا الرافعي من قوم يعجبهم الجمال ولكن الجمال الحرام الذي لا تربطهم به أي رابطة يعجبهم منظر الأجساد على الشواطئ والعيون متكئة على الألوان , والغمزات واللمزات في غياب من وازع الدين , وراذع الحياء

حاول الرافعي أن يكون الرائد الذي لا يكذب أهله ,وأن يكون الطبيب الذي يعرف الداء ويعرف كيف يحسن وصف الدواء لأبناء أمته , لأن تلك المرحلة من التاريخ التي مر بها المجتمع العربي كانت مرحلة انتقالية

إن لم يحافظ الشباب على مكتسباتهم الدينية والخلقية واللغوية ضاعوا وأضاعوا غيرهم , فكان الرافعي يشكل درعا حصينة يرى فيها الشباب الصواب من الخطأ والغي من الرشيد ,وكان هو مبصرهم الواعي , وكاتبهم المثقف ,ومفكرهم الصادق, فصدروا عن رأيه , وأيدوا مساعيه

فضيلة الحب الطاهر العفيف 1-

والرافعي لكونه مدافعا عن الفضيلة رأى أن من الواجب أن يبين ما يرى من سمو الحب فسطر ذلك في مقالة بنفس العنوان أدارها حول قصة يوسف عليه السلام, وافتن افتنانا لا مثيل له حين راح يفتق عن هذا المعنى كرائم مكتوباته ,لكنه يريد الدعوة إلى الحب الطاهر العفيف لا حب الشهوات الحيوانية

وهو في هذا الأمر يسعى ليخبر الناس بحقيقة غفلوا عنها، وهي أن الحب البائس هو الذي يسعى خلف أمر ينتهي بين عشية وضحاها حين يكون المقياس لهذا الحب هو جمال الصورة الزائلة ثم يبقى أبد الدهر إثم المعصية

في لحظة الغفلة من الشاب أو الشابة ، حين يفقد سلطان نفسه على نفسه ويكلف حيوان الشهوة بداخله أن يسير النفس على مبتغاه، حتى وإن كانت الدعوة مزينة بأكاليل الورد ، وزهور الرغبات الجامحة ، فعلى المرء أن يكون حذرا كل الحذر من حسن ظاهر يخفي خلفه قبحا مبيرا، ويستشهد بيوسف عليه السلام الذي اجتمعت عليه الأمور العظام والمكالات الجسام من كل حذب وصوب . فملكة وغنية وجميلة وشاب وباب موصد ولكن هناك أيضا الرب في علاه

قال الرافعي: (وهاهنا هاهنا المعجزة الكبرى لأن الآية الكريمة لا تريد أن تنفي عن يوسف عليه السلام فحولة الرجولة حتى لا يظن به ثم هي تريد من ذلك أن يتعلم الرجال وخاصة الشبان منهم كيف يتسامون بهذه الرجولة فوق الشهوات، حتى في الحالة التي هي نهاية قدرة الطبيعة حالة ملكة مطاعة فاتنة عاشقة مختلطة متعرضة متكشفة متهاكة. هنا لا ينبغي أن ييأس الرجل فإن (الوسيلة التي تجعله لا يرى شيئا من هذا هي أن يرى برهان ربه. (1)

هو الرافعي أيضا الخبير بأمور الحب يقول: (إن المرأة لا تحب إلا رجلا يكون أول الحسن فيه حسن فهمها له، وأول القوة فيه قوة إعجابها به، وأول الكبرياء فيه كبرياءها هي بحبه، وكبرياءها بأنه رجل. هو الذي يجتمع فيه للمرأة اثنان: إنسانها الطريف ووحشها (الطريف) 2)

وحي القلم ج 1 ص 96-1

وحي القلم ج 1 ص 156-2

الفقر مصلح وفضيلة من خلال حياة النبي الكريم 2-

أليس الفقر من أعدى أعداء الإنسانية؟

ألم يرو عن عدد من رجال التاريخ أمنياتهم في القضاء عليه؟

ولكن الرافعي يستلهم المعلم الأول ويحلل معنى الفقر منطلقا من هدى السيرة المطهرة، محاولا النفاذ إلى معان هي أشبه بروح الرسالة وروح النبي، إن من لو أراد أن تكون الجبال ذهبا في يديه لكانت وينصرف عنها رغبة عنها ، لجدير بأن يدرس أمره ويكتنه سر إعراضه.

أليست النفوس مولعة بحب المال والذهب ، وكارهة للفقر وممتعة منه

محاولة الهرب في كل وجه ولا أن تلتقي بوجهه ولو مرة واحدة، لكن النفس التي معنا ليست نفسا عادية إنها نفس النبوة الطاهرة المتطهرة من أوضاع الدنيا ومتاعها الزائل، يقول الرافعي: (لقد كان صلى الله عليه وسلم يملك المال ويجده وكان أجود به من الريح (المرسله، ولكنه لا يدعه يتناسل عنده ولا يتركه يثبت في عمله) 1)

والرافعي يحلل صورا مما قد يظنها الجهلاء فقرا مدقعا ليس وراءه من معاني الإنسانية شيء فيبين كيف أن ما كان في النبي ليس فقرا، إنه فقر عظيم بيني به أمة، أما مرض الفقر فهو فقر القعدة العجزة عن العمل والإصلاح والتغيير يقول الرافعي: (ومن معاني ذلك الفقر العظيم أن خبز الشعير هو رمز من رموز الحياة على التحلل من خلق الأثرة، والبراءة من هي الترف، ورهن الدرع رمز آخر على التخلص من الكبرياء والطمع والعسرة رمز ثالث على مجاهدة الملل،... ومجموع هذه الرموز رمز بحاله على وجوب الإيقاظ النفسي للأمة العزيزة التي تقود أنفسها بمقاساة الشدائد ومجاهدة الطباع) 2)

إن الرافعي ينظر إلى حياة الرسول الكريم على أنها دروس تعليمية للأمة

ينبغي عليها أن تحسن فهمها ليكون لها مخرجا في أزماتها ، ولا يفهم من هذا أن الرافعي من دعاة الفقر والتقنع بل كان يذكر حديث المصطفى (إنك إن تدع عيالك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) ليثبت أنها من تمام القانون الأدبي الاجتماعي في الدنيا لتثبت أن الحي هو حي العمل

وحي القلم ج 42.2 ص 1-

وحي القلم ج 2 ص 55-2

فضائل المرأة 3-

والمرأة الطيبة فضيلة , كيف وهي نصف الكون, الذي يخرج النصف الآخر, وأخلق بالطيب أن يخرج الطيب, ولكن ماذا لو حصل فيه اعوجاج؟ لعمري إن الكون سيكون بعدها في شر . فإذا فسد النصف وأخرج النصف الفاسد فما تنتظر في الدنيا بعد هذا إلا الهلاك

وكان الرافعي يشعر بأهمية المرأة في المجتمع فأدار عنها حديثاً مستفيضاً

كان مداره الحجاب والعفاف والشرف والعلم والمدنية الحقّة والحب الحق وغير هذا من أمور كانت تهم المرأة في عصره إلا أن أغلب ما كتب يصلح لأن يكون لأي امرأة في أي عصر وفي أي قطر ولا أبالغ إن قلت من أي ملة. إن الحديث الذي أداره الرافعي عنها كان . منطلقاً من العقل والحكمة والنفس الإنسانية

في مقال عنوانه (احذري) سطر الرافعي كل ما يراد بالمرأة الشرقية من شر يقول : (احذري تلك النسائية الغزلية إنها في جملتها ترخيص اجتماعي للحرّة أن... أن تشارك البغي في نصف عملها

احذري تهوس الأوروبية في طلب المساواة بالرجل

احذري أن تخسري الطباع التي هي الألبق بأم أنجبت الأنبياء في الشرق

احذري هؤلاء الشباب المتمدينين بأكثر من التمدن

(أيتها الشرقية احذري احذري) (1)

. أما الحجاب فقد دافع عنه الرافعي منطلقاً من عقيدته ودينه فاهما منها ما لم يفهمه غيره ممن أرادوا نزع الحجاب عن المرأة

وانطلق فيه أيضاً من رؤيته لبواطن الأشياء واستكناها ما وراء الأمور التي لا تطل كلها ولكن يطل عليك بعضها ويؤخذ منه على قدر القرائح والفهوم قال في هذا: (وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة وإغلاء سعرها في الاجتماع وصونها من التبذل (الممقوتة لضبطها في حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم قانون العرض والطلب) (2)

إننا أمام من يقدر الأمور أتم تقدير , أمام من يخشى على بنات أمته ونساء شعبه أن يفلتن في فعر تنور الرذيلة وهن لا يشعرن بأنفسهن بسبب ما ضربه المستغربون على رؤوسهن من أفكار عارية لتترك أجسادهن عارية

وحي القلم ج 1 ص 251-1

وحي القلم ج 1 ص 186-2

والرافعي في نص له يعطي المرأة نصيحة ذهبية لو أخذت بها المرأة وفرت على نفسها من ذلك الكثير ووصلت إلى ما تريد عن أقرب طريق وأقصره ثم وقبل هذا هو أشرفه, يقول الرافعي: (أيتها الفتاة إن صدق الحياة تحت مظاهرها لا في مظاهرها التي تكذب , أكثر مما تصدق فساعدي الطبيعة واحجبي أخلاقك عن الرجل, لتعمل هذه الطبيعة فيه بقوتين دافعتين: منها ومنك فيسرع انقلابه إليك وبحنه عنك وقد يجد الفاسق فاسقات وبغايا ولكن الرجل الصريح الرجولة لن يجد غيرك, وإنما سفورك وسفور أخلاقك إفساد لتدبير الطبيعة وتمكين للرجل نفسه أن يرجف بك الظن ويسيء فيك الرأي وعقابك على ذلك ما أنت فيه من الكساد والبوار عقاب (الطبيعة لمستقبلك بالحرمان وعقاب أفكارك لنفسك بالألم) (1)

كم وقف الرافعي مدافعاً ومحارباً في ساحة الميدان يحمل قلماً قد استطال به النور حتى غدا كالفجر , والرافعي في ميدانه كالطبيب في مشغاه يسلك كل سبيل يرى أنها من الممكن أن تهدي إلى مريضه الشفاء فمن كان دواؤه القرآن وهب له منه ومن كان دواؤه الفكر وهب له منه ومن كان دواؤه التجريب وهب له منه , يريد أن يبصر الجاهل , ويأخذ بيد المغتر , وقيم الحجة على المراءوغ, حتى يكشف عن البصيرة النيرة التي أراه الله إياها فأثر إخراجها للناس لا حجبها عنهم

وحي القلم ج 2 ص 190 - 1

. ثالثاً/ مدافعا عن اللغة و الأدب

: كم من معارك الأدب واللغة التي قد خاضها كاتبنا الفطحل، كان منها على سبيل الذكر

الدعوة إلى العامية وهجر الفصحى*

تمصير اللغة والأدب *

قضية الانتحال في الشعر الجاهلي*

رأي طه حسين في تأثير الوثنية والنصرانية واليهودية على الشعر العربي*

رأي طه حسين في الشعر الجاهلي*

رأي طه حسين في قصص القرآن*

القديم والجديد*

البلاغة العربية*

وقف الرافعي في جميع هذه الميادين يدعو إلى الحق الذي كان يلوح به لأنه يلوح لهم بالقرآن، ولسان حاله يقول(ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار) فأبوا عليه أن يعترفوا له بفضل دعا إليه حتى مات فقالوا : رحم الله الرافعي فقد كان وكان

:وسوف أبدأ بأمر اللغة فأقول

لقد منيت الأمة العربية أثناء وبعد الاستعمار بنكبات عظام وأهوال جسام لم يكن أقلها محاولة النيل من الرباط الوثيق للأمة العربية الذي يشدها بعض ويشد سابقا منها بلاحق، وكانت الحملات تترى على اللغة العربية لغة القرآن من قبل المستشرقين والمستعمرين الذين ما فتئوا يكيّدون للأمة في لغتها لأنهم يعلمون أنهم إن انتصروا في هذا الميدان انتصروا بعد في كل الميادين ..وكانت مصر بلاد العرب ذات النهضة الحديثة فكانت محط دعواتهم ومرمى أبصارهم

ولما انقضى أمر الاستعمار ورث بعض المستغربين من أبناء العرب مبادئ الاستعمار ومذهبه فراحوا يطالبون بإلغاء العربية الفصحى وإحلال العامية مكانها ،مدعين في ذلك أنهم يريدون أن يرتقوا بأسلوب الحديث ليكون قريبا من فهم العامة، حتى يسهل تعليمهم وتنقيفهم ، ثم كان من هذه المطالب أن طالبوا بتمصير اللغة أي جعل لغة مصرية خاصة مشتقة من لهجة القطر المصري لتكون لغة العامة والخاصة في أرض الكنانة، بها يكتبون الصحف وبها تؤلف المؤلفات وبها تنشر المقالات فتدخل كل بيت لا يمتنع من دخولها جدار معلى أو خباء مطنب ، وكل هذه الدعوات صارت فيما بعد هشيما تذروه الرياح والله الحمد والمنة

1- تمصير اللغة وإحلال العامية مكان الفصحى:

كان من أمر اللغة في أيدي القوم ما ذكرت فخرج رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يدافعون عن لغة القرآن ومن بينهم الرافعي مدافعا تحت راية القرآن، وكان أشدهم نضالا وكان يسوق حججهم فوق ما أرادوا ويرد عليهم بما لم يقع في أوهامهم أن يقال فكانوا يرون أن تكون اللغة مصرية بعد أن كانت مصرية ، فلا يعسر على مصري كتاب أو كلمة وتسقط الخصومة بين العامية والفصحى ولا يعد بينهما عدااء.

ولكن هذا يوشك أن يجعل الفصحى في الكتاب الكريم ضربات من اللغات الأثرية وبمحي أي استخدام لها إلا في القرآن وهذا ما لا يمكن أن يقبله القرآن الذي محال لغات العرب على فصاحتها وقوة الفطرة في أهلها وردتها إلى لغة واحدة هي القرشية.

وإذا حاولنا مذهب الإصلاح العامي فليت شعري أي لهجة نأخذ؟

ولو عارضنا القوم بأنهم يريدون تقريب الفصحى من العامة لا من العامية ليسهل عليهم أن يتأدبوا قلنا: ذلك وجه سبيله غير ما يقولون به من تمصير هذا الفصحى العربي ، فلهم أن يفصحوا العامية ويردونها إلى أساليبها القرشية على نحو ما كانت عليه أيام الأمويين ((والعباسيين.1))

ثم إنهم قد ظنوا أنهم أتوا بأمر قد بلغ الغاية في القهر والغلبة فنقض ما أبرموا بكل يسر وسهولة فقال: (قالوا إننا نخاطب الدهماء والأجلاف ومن يسف إلى منازلهم بكلام أهل نجد وألفاظ أهل السراة وتوهم من سبل الحضارة بوادي قيس وتميم وأسد ، قالوا هذا ولم يستحو أن يصدعوا به وهم يرون إلى جانبهم من المستشرقين أعاجم قد فصحو وأقبلوا على آدابنا وتاريخنا فوسعوها وأحاطوا بها وقد كانوا في غنى عن كل ذلك بلغاتهم وآدابهم ، أليسوا ينقمون منا أننا نشد أيدينا على لغة ليست لنا فلم لا ينقمون أننا نصرف وجوهنا إلى قبلة ليست في أرضنا)2)

إن هذه الدعوة كانت آثمة كل الإثم إذ قالت ما قالت ولكن الله يسر لهذه اللغة مخلصين دافعوا عنها , وهاهي اللغة العربية لا تزال تخفق في قلوب وصدور مؤمنة بها محقة لمعناها لم يضرها إرجاف المرجفين وكيد المستشرقين والمستغربين عندما وجدت برد يد أبنائها المخلصين على قلبها الهادئ المكين, وأيقنت بنصر الله لها من فوق السموات وإن تجمع عليها صعاليك العرب ومتشردى العجم.

تحت راية القرآن ص 51-1

تحت راية القرآن ص 44-2

كتاب الشعر الجاهلي 2-

كانت معركة دين عند ذلك الكاتب العظيم, حينما رأى طه حسين يخلط الحقائق ويهرطق في الدين , كان لا بد من وقفة رجل ما , فكان هو الرجل

إن الرافعي لا يعادي بسبب الشخصية أو الأمور الذاتية وإنما لأن هناك خطأ مبيرا قد فعل فما هو إلا أن تتور نائرتة حتى لا يقف أمامها شيء فتبصر المقالات والكتب تفيض برأي العامة والخاصة على حد سواء

يقول الرافعي في مقال عنوانه : (أستاذ الآداب والقرآن): (ولننظر الآن في حماقة طه وتكاذيبه التي زعمها في القرآن ووقاحتة العجيبة فيما يكتب جهلا بأساليب الكتابة وذوقها واسترسالها مع طبعه الأحمق السفهيه

يقول في صفحة 26 > للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا , ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي. < فانظر هذه الوقاحة في قوله < للقرآن أن يحدثنا > كأنه زعم زاعم له أن يقول وأن لا (يقول) 1)

. ثم شرع الرافعي في تفنيد حجج ومزاعم افترت غير هذه فكان لها مصيبا

والرافعي بوقفته تلك -رحمه الله - منع أجيالا من أن تدرس الكذب والخطأ على أنه علم صريح لا امتراء فيه أو أن تدرس الخطيئة تظنها حسنة ورحمة , كما قلت كان لا بد من وجود رجل يقف وقفة صارمة أمام هذا الطغيان الجارف, وإلا فإنه سيستشري ويمتد . امتدادا لا حدود له ثم يسري في القلوب والعقول سريان النار في الهشيم

والرافعي يعرف من أين تؤكل الكتف إذ وجد صاحب الكتاب يناقض نفسه بنفسه , فطوح به عن طريق يده ولسانه يقول الرافعي: (والعجب أن شيخ الجامعة مع كل هذا الخلط وكل هذه الحماقة يقول في صفحة 126: (القرآن وحده هو النص العربي القديم الذي يستطيع المؤرخ أن يطمئن إلى صحته ويعتبره مشخضا للعصر الذي تلي فيه) فأين الشك الذي ابتلي به هذا الرجل)(2)

لأن الرجل أخذ نفسه بمبدأ شيوخه من الغربيين الذين لا يقيمون وزنا لا صغيرا ولا كبيرا للحقائق الدينية لأنهم يعلمون حقيقة ما يعتقدون , ثم حاول أن يتملق الأجيال بعارة صغيرة كأنها على طريقة ذر الرماد في العيون , فلمح الرافعي منه هذه الغفلة فلم يتركها له بل عراه على الملأ

تحت راية القرآن ص 145-146-1

تحت راية القرآن ص 149-2

القديم والجديد 3-

وهي مسألة كانت في وقت النهضة العربية الحديثة حيث كان الجدل محتدما حول أسلوب الكتابة وما يجب أن يحتذى فيه من أساليب وصور وأخيلة فقال: (فالمذهب القديم إذن هو أن تكون اللغة لا تزال لغة العرب في أصولها وفروعها وإن تكون هذه الأسفار القديمة التي تحويها لا تزال حية تنزل من كل زمن منزلة أمة من العرب الفصحاء وأن يكون الدين العربي هو هو كأنما نزل به الوحي). (أمس لا يفتننا فيه علم ولا رأي) 1)

الرافعي مدافع ليس عن قديم أو جديد الرافعي مدافع عن حق ودين لا يخدعه عنه أن يدافع عن معتقده تحت أي مسمى , وإذا تغيرت الأسماء في زمن سيماه التغير فإن الحقائق لا تتغير وتصل شاخصة ماثلة عند من يعرفونها أقوى من شمس النهار

والرافعي يقول إن كان المذهب القديم هو أن أتمسك بلغة العرب الأصيلة

وأن يكون ديني هو الإسلام الذي نزل على الأمة من قديم وهو الآن كذلك الوقت فإنني أرحب بهذا القديم, الذي لن يزيدني إلا علواً وبقينا

والرافعي يحلل في مقال آخر حقيقة هذا الجديد الذي يبشرون به وينشرونه فيقول: (وذلك أن هؤلاء الكتاب لا يريدون أبداً أن تسمى (الغلطة باسمها... فإذا أخطأوا فلا تقولن أخطأوا ولكن قل: إنه صواب جديد...) 2)

فالرافعي يعرف حقيقة الأمر فما هو إلا ضعف القوم في أنفسهم وعدم قدرتهم على تقصي حقائق اللغة الإبداعية فأخذوا أنفسهم بكلمة (اكتب كيفما اتفق) فإن وافق مرامي العرب الفصحاء في كلامهم فقد أصبت وهو أقل القليل برمية من غير رام، وإن أخطأت وهذا هو الغالب فقل إنها طريقة المذهب الجديد ، وقل إنكم تحاكمونا بمعيار هو للقديم وبالقديم ، فإن شئتم فحاكمونا بمعيار الجدة .التي نحن بصدددها ، وهيئات هيئات أن يكون للخطأ معيار إلا أن يكون خاطئاً مثله ، كيف للضلال بميزان غير ضال

هكذا دافع الرافعي عن أسلوبه العربي الأصيل لأنه من روح الدين ومن مشكاة النبوة لا من مخلفات كتاب الغرب ، ومستشرقهم ، بصره وكفاحه نقرأ اليوم له هذا المجد المؤثل الذي سطرته يدها، لنقول : شكرا لك أيها البطل العظيم ، دافعت في وقت كان حاسماً وقمت في معركة لنصر العربية كانت فاصلة ، وشرحت قول الشاعر :إن بني عمك فيهم رماح

تحت راية القرآن ص9-1

تحت راية القرآن ص30-2

4- البلاغة العربية والنقد

عانت البلاغة العربية كما عانت جميع فروع العربية من ظلم وبهتان الأبعد والأقارب، وإن كان أمراً لا يستبعد من البعيدين فإنه من الأبناء المحيطين أشد ألماً وفتكاً بالنفس

ومن ذلك مقال رد فيه الرافعي على رسالة وردت إليه تقول أن كاتباً وارن بين قول العرب (القتل أنفى للقتل) وقول الحق جل وعز(ولكم في القصص حياة) ثم فصل كلمة العرب على آية القرآن

فكتب الرافعي مقالا عنوانه:(كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة) جمع فيها بلاغته واحتشد فيها أي احتشاد لدفع هذا البهتان، فأورد ثلاثة عشر وجهاً يبين فيه إعجاز القرآن بهذه الآية مقالة العرب

قال الرافعي:(قال في القصص ولم يقل في القتل فقيده بهذه الصيغة التي تدل على أنه جزء ومؤاخذه فلا يمكن أن يكون منه (المبادأة بالعدوان ولا أن يكون منه ما يخرج على قدر المجازاة قل أو كثر).1)

أما النقد فقد كان للرافعي فيه ممارسات حيث نقد عليّة الشعراء في عصره من مثل : أحمد شوقي والذي قال عنه الدكتور محمد رجب:نأخذ عليه مبالغة في المدح سبقت في غير موضعها. وحافظ إبراهيم وعلي محمود طه ومحمود أبو الوفاء وصروف اللغوي وتوفيق الحكيم وغيرهم

وقال في شعر شوقي:(وكان شعر شوقي في جزالته وسلاسته كأنما يحمل العصا لبعض الشعراء يردهم بها عن السفسفة والتخليط والاضطراب في اللفظ والتركيب)2)

وأقتبس من كلام الدكتور /محمد رجب البيومي قوله في خاتمة حديثه عن الرافعي ناقداً : (ولا أقول إن النقد كان أبرز ميزات الرافعي) بل أقول إنه كان أثراً قيماً من آثاره وله وزنه في تقدير كفاحه الأدبي الطويل)3)

فالدكتور وإن كان يرى فضلاً للرافعي في النقد إلا أنه ليس أفضل ما كتب فهناك من كتاباته ما قد افترعت السماك، وحازت الإعجاب . ثم إنها صارت من الأدب الخالد الذي ثبت في دنيا الآداب

وحي القلم ج3 ص 383-1

وحي القلم ج3 ص 300-2

الرافعي د/البيومي ص247-3

وختاماً فقد كان هذا المقال محاولة لاستخراج بعض من درر أديب العربية في العصر الحديث الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي

وكان يبحث من بين ما زخر به الأدب الرافعي عن الأدب الإسلامي ذو الروح المؤمنة، فوجدها لعمرى مصورة قائمة ، به ماثلة

(وكانت محاوره ثلاثة وهي:(الدين والفضيلة واللغة

وتفرع عن كل محور فروع وجدنا بها أن أديبنا الرافعي على تمكنه وعلو صيته وهمته ، يستحق أن يكون رائداً من رواد أدب الدعوة الإسلامية أدب الدين والأخلاق والفضائل

رأينا مع القارئ الكريم كيف أن الأديب دافع عن دينه وكتابه ونبه وحديثه دفاع المستميت ، الناصر له بالنفس والمال ، والموقن* بعلوه وتمكنه في الدنيا والأخرى

.ودافع عن علماء أمتة منطلقاً من دين قويم وفكر مستقيم لم تعبت به غوائل المستغربين

ورأينا الفضائل يصل بها الرافعي في يديه بالدليل، ويرسل الصواعق على اللعبة الجهلة الذين يحاولون سرقة فضائل الأمة، فدافع*
عن الحجاب والعفاف والزواج، وصحح المفاهيم وعرس الفضائل

.ورأينا الرافعي مدافعاً عن اللغة والأدب يذب عنها دعوات المبطلين وافتراءات الكاذبين*

فدافع عن القرآن ووقف في تيار القوة المادية بتيار قوته المعنوية يجابه طه حسين ، وسواه من أعاصير الضلال، وقاتل من أجل الشعر
العربي والثقافة العربية وبلاغة الكتاب والسنة، فرأينا خير دفاع وخير مدافع

.إنني أشكر الله الذي سخر للعربية في هذا الطور مثل الرافعي

.وهنيئاً للرافعي ما لقي من التبجيل فمن أحبه الله أحبه الناس

. كان هذا مقالاً متعجلاً في الأدب الفاضل الملتزم عند الرافعي نسأل الله الصواب والخير والفلاح، إنه ولي ذلك والقادر عليه

.وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين

/المراجع

تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ط السادسة، عام 1385هـ المكتبة التجارية -

- مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن، د/محمد رجب البيومي، دار القلم الطبعة الأولى سنة 1417هـ.

- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية بيروت